فلسفة السياسة عند نيتشه

هجران عبد الإله احمد الصالحي*

مقدمة:

لقد كان لنيتشه رأي خاص في السياسة رغم عدم عنايته بالسياسة والأحزاب، لأنه كان يرى أن المفكر الذي يكرس نفسه للإلهام الفكري الفلسفي لم يبقِ مجالا فيه لأي الهام سياسي. فخليق به إذن ان يدع السياسة والحزبية ؛ لان كل تدخل في السياسة من جانب غير الموهوبين سياسياً فيه للدولة إفساد شديد، وما جر الويل على الدولة الا اشتغال الهواة بالسياسة واعتقاد كل فرد ان له الحق في الاشتغال بها والزج بنفسه في تيارها. ولكن هذا معناه أيضا إن المفكر يجب أن لا يتردد لحظة واحدة في أن يأخذ مكانه وسط الصفوف في الجبهة، حين يرى وطنه في خطر حقيقي، فهذا واجب أولي لا حيلة له بالسياسة.

ورغم هذا كان له موقفا خاصا من السياسة والأحزاب، وأتسم الطابع العام لهذا الموقف بالمعاداة والنقد، فنقد الحكومة واصفا إياها بالمسخ البارد الذي يعتمد الإغواء المزيف والادعاء الكاذب من اجل السيطرة على الجمهور، وكذلك نقد الأحزاب وتملقها للعامة من الشعب، وعارض النزعات الاجتماعية كالديمقراطية والاشتراكية اللتين تشتركان في الدعوة الى المساواة بين الجميع وسعيها لجعل الناس متساوين أمام الحق والقانون وعد تلك النزعات انموذجا من انحطاط الحضارة الغربية وهي على اختلاف اتجاهاتها فأنها تتشابه مع التيارات الدينية التي تسعى لجعل الناس متساوين. كما وقف ضد الجماهير إلى جانب الفرد الممتاز(الإنسان الأعلى)ذلك الإنسان الحر الذي لا يخضع إلا لأهواءه ورغباته ولا ينساق لأراء الشعب والجماهير وهو إنسان مسؤول عن صياغة قوانينه بذاته وهو إنسان في عزلة عن الجمهور.

* مدرس مساعد/قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة الموصل.

وينتهي نيتشه من ذلك النقد اللاذع برسم معالم دولته الانموذجية بالقول: إنها تلك الدولة التي تمجد الحرب والمقاتلين وهي لا تهتم بآراء الآخرين ولا حسد الحاقدين ولا لمبادئ الضمير بل هي دولة غايتها الحرب ؛ لان الحرب– وحسب اعتقاده– هي التي تصنع الرجال الأبطال وليس المساواة ومحبة الآخرين، بل إنها لا ترى في السلم أية قيمة إلا تلته حرب أخرى ، وان تلك الدولة هي دولة الضواري من الرجال والتي يحكمها الإنسان الأعلى(السوبر مان).

أولاُ: موقف نيتشه من الحكومة:

هاجم نيتشه على لسان نبيه زاردشت الخضوع للحكومة واصفاً إياها بالمسخ(ليست الحكومة الا ابرد مسخ بين المسوخ الباردة. فهي تكذب بكل رصانة حين تقول "انا الشعب انا الحكومة". واياكم وتصديق ما تقول، فما كون الشعوب الا المبدعون الذين نشروا الايمان والمحبة، فأتوا بأجل خدمة للحياة، وما النصابون إلا شِراك للجموع الغفيرة الا من يهدمون كيانها ليشيدوا الحكومات على انقاضها، ويعلقوا نصلاً قاطعاً فوق رأس الشعب، وينصبوا مئات الشهوات امام عينيه)[١]، فنتشيه هنا يعطي اشارة الى الاساليب التي تتبعها الحكومة للسيطرة على عقول الشعب من خلال الادعاء الباطل والاغواء المزيف.

كما يقارن نيتشه بين "الحكومة والشعب" لاعطاء دليل على نفور الشعب من الحكومة فيقول " ان لكل شعب بيانه الخاص عن الخير والشر، وجيدة هذا الشعب لاتفهم هذا البيان الذي اوجده لنفسه محددا به شرائعه وتقاليده، على حين ان الحكومة تكذب في جمع تعابيرها عن الخير والشر، فليس ما تقوله الا كذباً، وليس ما تملكه الا نتاج سرقتها واختلاسها. ان كل ما للحكومة مزيف، فهي تنهش بأسنان مستعارة، وأحشاؤها مختلفة اختلافاً، وما شعارها الا البيان المبهم المشوش عن الخير والشر[٢].

---

(١) نيتشه، فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة جديدة كاملة، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨.

فالشعب –حسب رأي نيتشه– له قيمته الخاصة ومفهومه الخاص عن الخير والشر وهذه القيم والمفاهيم التي أوجدها هو بنفسه ويحدد بها تقاليده وشرائعه، اما الحكومة فليس لها نتاج خاص بها عن الخير والشر، وان ما تملكه من مفاهيم ما هو إلا نتاج للسرقة والاختلاس.

كما يبين نيتشه علاقة "الحكومة بالدين"، وكيفية استغلالها للدين لغرض خداع الناس وفرض سيطرتها عليهم ولضمان استقرارها وبقائها. فيقول عن علاقة الدين بالحكومة:(طالما عرفت الحكومة بالضبط انها تحت وصاية جمهور أصغر، وطالما وزنت مسألة معرفة ان كان عليها ان تحتفظ بالدين لنفسها او ان تلغيه، فإنه من المحتمل جداً ان تقرر الابقاء على الدين؛ لان الدين يضمن طمأنينة النفس في مرحلة الاحباط، ومرحلة الحرمان والرعب والريبة، أي: في المرحلة ذاتها التي تستقر فيها الحكومة بأنها عاجزة عن فعل أي شيء، بشكل مباشر، كي تخفف الالام المعنوية للفرد، فضلاً عن ذلك فان الدين يضمن حتى في حالة الكوارث العامة التي لايمكن تفاديها "كالمجاعات والازمات والحروب". يضمن موقفاً هادئاً، ترقبياً وواثقاً من جهة الجمهور. حيث لا تكون أخطاء الحكومة المحتومة والعريضة، او الآثار الخطيرة لمصالح سلالية "متعلقة بالسلالة الحاكمة" واضحة لعين الإنسان المتبصر وتهيئه للتمرد، وإن الاخرين الأقل تنوراً سيعتقدون انهم يرون وراء ذلك يدا إلاهية وسيخضعون دون تبرم لأوامر الفوق. وهكذا سيكون قد تم الحفاظ على الامن المدني في الداخل، وكذلك على استمرار التطور)[١]، بمعنى ان الحكومة تقرر ابقائها للدين وفقاً لمصالحها غالباً ما تحاول ابقاء الدين لما يضمنه لها من استقرار في اصعب الظروف، حتى في المحن التي تقع فيها بسبب أخطاء ترجع اسبابها للسلطة او للسلالة الحاكمة ؛ لأن الدين سيحاول اسقاط تلك الاخطاء إلى مؤثرات فوقية "إلاهية" ويعزو اسبابها إلى تلك القوة وبذلك ستخلق التوازن المطلوب لها، فاذا تمردت القلة المتبصرة المثقفة المتطلعة على هذه

---

[١] نيتشه، فريدريك،انساني مفرط في انسانيته " كتاب العقول الحرة "،ج١، ترجمة: محمد الناجي،افريقيا الشرق،المغرب،١٩٩٨،ص٢٠٥.

الاخطاء ستكسب بالمقابل الكثرة الغير المتبصرة التي ستسقط أسباب المحنة الى عوامل دينية إلاهية.

ويرى نيتشه وفقاً لهذه المميزات التي يحققها الدين للحكومة، سعي الحكومة الدائم للتوصل الى اتفاق مع رجال الدين بأي ثمن لاجل تحقيق هذه الغايات(عادة ما تعرف الحكومة كيف تصالح الكهنة لانها تحتاج الى فنهم الشديد الخصوصية والسري في مجال تربية النفوس ولانها تعرف كيف تقدر الخدام الذين يتصرفون ظاهراً وطاهرياً باسم مصالح مغايرة تماماً لمصالحها هي. إذ لايمكن لاي قوة ان تصير شرعية دون مؤازرة الكهنة لها)[١].

لذلك فان مصلحة الحكومة والدين في نظر نيتشه مصلحة متلازمة تعتمد الواحدة منها على الاخرى(ان مصلحة الحكومة في دورها كونها وصية ومصلحة للدين يسيران يداً بيد، بحيث انه بمجرد ما يبدأ الدين في الانحدار تتزعزع اسس الدولة. ان الايمان بنظام الهي في الشؤون السياسية، يسير في وجود الحكومة، وهو تفكير ذو أصل ديني: إذا زال الدين فستفقد الدولة بزواله حتماً حجاب ايزيس[٢] القدم الذي يغطيها، وستكف عن الهام الاجلال)[٣].

اذن فان كل هتافات الحكومة عن الدين وشعاراتها هي هتافات وهمية وكذلك اعلان الحكومة على انها يد الالوهية المنظمة هي خدعة غايتها ان تتهاوى لها الركاب جاثية. وهي مجرد اكاذيب تصوغها بشكل يدغدغ قلوب الشعب الطافحة بالمكارم والطامحة الى الجود[٤] ولهذه الاسباب فان خلاصة ما انتهت اليه نظرة نيتشه للحكومة تتجسد بقوله(انه صنم يتمنى ان يحيط به الابطال وفضلاء الرجال، انه مسخ بارد ويريد ان تشع عليه الضمائر كأشعة الشمس اللطيفة. فهذا الصنم الجديد لا يمنحكم أي شيء اذا انتم سجدتم له، انه يتشري لمعان فضائلكم

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٠٥.

[٢] ايزيس: الهة الامومة والخصب المصيرية .

[٣] المصدر نفسه، ص٢٠٧.

[٤] نيتشه، فريدريك، "هكذا تكلم زرادشت"،ترجمة جديدة، ص٦٨-٦٩.

وما في لفتاتكم من عزة وكرامة)[١]. فالحكومة صنم كلما سجد له زادت عطاياه للإنسان ولكن بالمقابل فان هذا الانسان سيفقد عزته وكرامته لما يقدمه من خضوع وانقياد.

لذا لا يظهر الإنسان الحر(حسب راي نيتشه) الا حين تنتهي حدود الحكومات فهنالك يتعالى نشيد الضرورة بنغماته المحررة من كل مطاوعة وتقيد[٢].

ثانيا: موقف نيتشه من النزاعات الاجتماعية:

يعلن نيتشه حرباً شعواء ولا هوادة فيها ولا رحمة فيها ضد كل النزعات الاجتماعية التي تشيع في الإنسان روح المهانة والضعف والخضوع، ولقد شهد العصر الحديث اعنف نضال بين أنصار الديمقراطية الشعبية التي تدعو للمساواة بين الجميع والعمل على محو شتى مظاهر الخلاف بين الأفراد وبين أنصار الأرستقراطية الفردية التي تضع في مقابل الإنسان العادي المساوي لغيره من الناس. الإنسان المميز الكامل "الرجل الاعلى عند نيتشه"[٣].

وقد وقف نيشه ضد الديمقراطية والاشتراكية ووجه لها انتقادات ودعا لنظام أرستقراطي تمثل بصورة الإنسان الاعلى الذي هو فوق الناس وفوق القانون. وهذا جزء من نقص للنزعات الاجتماعية.

آ. الديمقراطية:

---

[١] نيتشه، فريدريك، المصدر السابق، ص٦٩.

[٢] المصدر نفسه، ص٧٠.

[٣] زكريا ابراهيم،مشكلة الانسان(مشكلات فلسفية٢)،دار مصر للطباعة،القاهرة،بلا ط، بلا ت، ١٩٥٩،ص١٧١.

يرى نيتشه ان مذهب الديمقراطية علامة من علامات الانحطاط، لانه مهما تباعدت اصوله وتبدلت مناهجه فانه متفق مع المذهب الديني[١]، ففي الشريعة المسيحية وفي ديانة الالم الإنساني يتمثل ما يتمثل في مذهب المساواة مقت ضعيف للقوي، وجنوح قوي الى حياة الألم فيها. ان المسيحية تجعل الناس متساوين اكفاء امام الإله وتعدهم بسعادة كاملة في الحياة الثانية، كذلك الديمقراطية جعلت الناس متساوين أكفاء أمام الشريعة والحق، وعملت على تحقيق سعادتهم في هذه الدار ورجت ان تخلق مجتمعا يزول فيه التفاوت ويكون أهله في الحق سواء، لا يتمتع احدهم بما لايتمتع به آخر. حيث لا أمر ولا طاعة ولا استبداد ولا استئثار. ولا سيادة ولا عبودية، ولا غني ولا فقير. هذا هو المثل الذي تنهض إليه الديمقراطية، ويدعو اليه اصحابها على كل اختلاف مللهم ونحلهم، كلهم يعملون على رفض كل سلطة دينية، ليملكوا لانفسهم كل امتياز، وكلهم يؤمنون بأن كل فرد يقدر بل ينبغي له أن يجد سعادته الخاصة في سعادة المجتمع بأسره وهذه السعادة الاجتماعية يمكن تحقيقها باشفاق كل فرد على مجتمعه بالمحبة العامة السائدة[٢]. وكل هذه المبادئ التي تحملها الديمقراطية تتعارض مع الفرد القوي المميز الذي يسعى لتحقيق ذاته ووجوده ويفرض تميزه على الاخرين الأقل منه كفاءة وتميزاً ويكون خالقاً لقيمه، لايخضع للمجتمع الساعي لجعل الإنسان اداة له. تصب في خدمة مصالحه واستقراره. كما تسعى الديمقراطية الى إجبار الفرد المميز عن

---

(١) إن الاسباب التي دعت نيتشه للاعتراض على المسيحية نفسها التي دفعته للاعتراض على الديمقراطية الاشتراكية لانه كان يرى(ان المسيحية انجبت الثورة الفرنسية، وهذه انجبت الديمقراطية، وهذه أخيراً أنجبت الاشتراكية، وهكذا حين يتخذ نيشته وضعيته المسخ – الدجال، عدو المسيح فإن الديمقراطية وبالذات الاشتراكية هي بالحقيقة ما يريد اسقاطه)، لوكاكش، جورج، "تحطيم العقل"، ج٢، ترجمة: الياس مرقص، ص١٤١.

(٢) ليشتابنرجر ،هنري:نيتشه، ترجمة:خليل الهنداوي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٤،ص٨٢-٨٣.

التخلي عن حقوقه وامتيازاته لصالح الغير طلباً للمساواة والعدالة. وهذا ما يناقض الطبيعة البشرية.

حيث يرى نيتشه في السلوك البشري استجابة لسلطة الغرائز. وبما ان هذه الغرائز مختلفة لدى الأفراد، لذلك فمن الضروري ان تكون اساليب السلوك البشري مختلفة، ومن هنا يجب معاداة الديمقراطية، ومخاصمة الدعوى لحقوق متساوية وواجبات متساوية للجميع. فالناس غير متساويين ولهذا فإن حقوقهم وواجباتهم يجب ان لا تكون متساوية[١]. لذا تكون الديمقراطية مناقضة للطبيعة البشرية وعلامة من علامات الانحطاط.

كما رأى نيتشه إضافة لاعتراضه على الديمقراطية رأى فيها تناقضاً شديداً بين وسيلتها والغاية التي تصبو اليها. فيقول(ان غاية الديمقراطية هي الحصول على الاستقلال وضمانة لاكبر عدد ممكن من الناس. وضمان استقلال الاراء وطريقة الحياة، وكسب العيش، فلا بد ان ترفض حتى الانتخاب السياسي للفقراء والاغنياء فهما طبقتان غير شرعيتان عليها ان تحجمهما لانهما تضعان باستمرار مهمة الديمقراطية موضعا لتساؤل لذا على الديمقراطية الوقوف في وجه كل ما يبدو انه بصدد تنظيم حزب لان اعداء الاستقلال هم الفقراء والاغنياء والاحزاب)[٢]. أي: ان وسيلة الديمقراطية تتعارض مع غايتها. فهي تسعى لتحقيق الاستقلال لاكبر عدد من الناس، وهذا لايتم الا بمنع الانتخاب السياسي للفقراء والاغنياء والقضاء على الاحزاب. وبذلك وسيلتها ستكون خنق الحريات وإماتة حرية الرأي. وهذا ما يناقض غايتها وشعاراتها المنادية بها. كالحرية والمساواة والاخاء وغيرها من اللافتات البراقة.

---

(١) شتاينر ،رودلولف،نتشه–مكافحاً ضد عصره،ترجمة وتقديم:حسن صقر،دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق،سوريا،ط١،١٩٩٨،ص١٩٧.

(٢) نيتشه، فريدريك،"ما وراء الخير والشر(مختارات)"،ترجمة:محمد عضيمة،ص١٠٦.

وخلاصة رأي نيتشه الذي جاء استناداً لمجمل هذه الاعتراضات التي ذكرها عن الديمقراطية بالقول ان الديمقراطية هي(الشكل التاريخي لانحطاط الدولة)[١].

ب. الاشتراكية:

نقد نيتشه الاشتراكية وعدها مسيحية منحطة، لانها تؤكد في الحقيقة الايمان بغائية التاريخ، هذا الايمان يخون الحياة والطبيعة ويحل غايات مثالية محل الغايات الحقيقية، ويسهم في اثارة الرغبات والمخيلات. الاشتراكية هي عدمية، وذلك بالمعنى الدقيق الذي يضيفه نيتشه على هذه الكلمة. العدمي ليس ذلك الشخص الذي لايؤمن بشيء، بل ذلك الشخص الذي لايؤمن بما هو موجود. وبهذا المعنى تكون كل اشكال الاشتراكية تجليات عن الانحطاط المسيحي ما زالت مترددية.

ويحارب نيتشه ايضاً النظريات الاشتراكية بوصفها نظريات أخلاقية، فالعدمية سواءاً تجلت في الدين ام في التبشير الاشتراكي، هي النتيجة المنطقية لما يسمى بقيمنا السامية. ان الفكر الحر سيهدم هذه القيم، بفضيحة الاوهام التي تستند اليها، والمساومات التي تفترضها، والجرائم التي ترتكبها اذ تمنع العقل البصير من انجاز مهمته: تحويل العدمية السلبية الى ايجابية[٢].

كما عد نيتشه الاشتراكية شكلاً من اشكال الاستبداد والقهر، نموذجاً للسعي وراء تحطيم الفرد إذ يقول:(الاشتراكية هي الاخ الاصغر والغريب الاطوار للاستبداد المتحضر، وهي تريد ان ترثه، طموحاتها اذن رجعية بأدق ما في الكلمة من معنى. ذلك انها ترغب ان تبلغ قوة الدولة تلك الدرجة من الكمال التي لم يبلغها قط غير الاستبداد. بل انها تزايد على الماضي رامية الى تدمير الفرد بلا قيد او شرط، وهذا الذي يبدو لها ترفاً اوجدته الطبيعة دون ان تبرره بحيث تعتقد هي انها مدعوة الى

---

[١] لوكاكش، جورج، تحطيم العقل، ج٢، ترجمة الياس مرقص، ص١١٣.

[٢] كامو، البير،الانسان المتمرد، ترجمة:نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٣، ص٩٦.

إصلاحه كي تجعل منه اداة نافعة ضمن الجماعة. انها تسعى ان تؤول الدولة للاستبداد لانها تريد ان تكون وريثته. لكن حتى هذا الارث لن يفي بغايتها ؛ لان ما يلزمنا هو خضوع كل المواطنين خضوع العبيد للدولة المطلقة، خضوعهم بشكل لم يسبق له نظير)[١]. وبما انه لايمكنها الاعتماد على الورع الديني القديم الذي كانت تستفيد منه الحكومة، والذي يجب عليها ان تعمل باستمرار، طوعاً او كرها على ازالته، بما انها تعمل فعلا على ازالة كل الدول القائمة، فانه(لايمكنها ان تأمل في تحقيق وجودها هنا او هناك الا لمدة قصيرة، ملتجئة الى الارهاب العنيف)[٢]، وبهذا القول لنيتشه تكون الاشتراكية غدت شكلاً من اشكال الاستبداد والارهاب الممارس ضد الفرد والمجتمع وتحاول اخضاع كافة شرائح المجتمع تحت سلطتها. وامتلاك كل مفاتيح القوة بيدها، وقدم نيتشه –انطلاقاً من هذه الرؤية– عدة أعتراضات وجهها لجوهر الاشتراكية ومضمونها ومن هذه الاعتراضات:

١. ان الاشتراكية في رأي نيتشه، تجهد نفسها في إصلاح حال أناس ليسوا في حاجة الى هذا الإصلاح. وقد يبدو ذلك غريباً، ولكن الطبقات الدنيا هي عنده أقل الطبقات شعوراً بما هي فيه من عوز وحاجة. " فالاشتراكيون يخطئون حين يعتقدون انهم قد وضعوا انفسهم موضع هذه الطبقات الدنيا، واحسوا بما هم فيه من الآم. ذلك لان الالام تزيد بارتفاع المستوى الثقافي، والطبقات الدنيا هي الاقل احساساً[٣]. وعلى ذلك فرفع مستواها يعني زيادة اشعارها بالآلام " والنتيجة الطبيعية لرأي نيتشه هذا، هي ان الدعوة الإصلاحية في الاشتراكية تناقض نفسها على الدوام فهي كلما رفعت مستوى هذه الطبقات الدنيا، ازدادت مطالبها اتساعاً، وكلما عجزت عن تحقيق هذه المطالب فضاعفت الامها.

---

(١) نيتشه، فريدريك، "إنساني مفرط في إنسانيته"، ترجمة: محمد الناجي، ص٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٩

(٣) زكريا، فؤاد، نيتشه – نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، بلا ط، بلا ت، ص١٠٦–١٠٧.

والبديل الذي يقدمه نيتشه عن هذا الإصلاح الاشتراكي؟ ان الاشتراكية هي(مطالبة) الطبقة الدنيا بإصلاح حالها ولكن هذه المطالبة لاتكفل العدالة على الإطلاق. إذ انها صدرت عن الحقد والحسد، ومن التطلع إلى ما في الغير. فالعدالة الحقة في نظره في ان يفيض من يملك الى من لايملك. أي ان تمنح الطبقة الحاكمة قدراً من المساواة، وتتفضل عليها بما قد تطالب به لو احست بحاجتها اليه[١].

٢. تحقيق الهدف الاشتراكي يؤدي –في رأي نيتشه– الى خلق انسانية خاملة حيث يقول " الاشتراكي يطمح إلى توفير الرفاهية لأكبر عدد ممكن من الناس. ولو ان مصدر هذه الرفاهية، أعني الدولة الخالية من العيوب، وجدت فعلاً، فإن هذه الرفاهية ذاتها ستدمر الارض التي عليها ينمو الذكاء الكبير،والفردانية القوية بشكل عام: اعني كل طاقة قوية، بمجرد ما يتم تأسيس هذه الدولة ستكون الإنسانية قد استنزفت بافراد بحيث لن نستطيع انتاج العبقرية "[٢].

٣. ومن الظواهر التي تباعد بين نيتشه وبين التفكير السياسي السائد في عصره بوجه عام، ان هذا التفكير يتملق مشاعر العامة، فالاحزاب السياسية مهما اختلفت اتجاهاتها، تحاول ان تظهر العامة بمظهر القادرين على التحكم بشؤون انفسهم، والنتيجة الوحيدة لذلك في رأيه، هي ان تبتعد القلة الممتازة عن مسرح السياسة، ارضاءً لكبريائها. وعلى ذلك فالاتجاه الى تملق العامة هو امر يعيبه على الفلسفة السياسية الحديثة بأسرها، ولكنه يخص الاشتراكية بأعنف حملاته في هذا الصدد. فليست للاشتراكية سوى اهداف جماعية، بينهما الهدف الاعلى في نظره هو خلق افراد عظماء، وهؤلاء الأفراد العظماء لايختلقون بخطة مدبرة، بل يظهرون تلقائياً[٣].

---

(١) زكريا، فؤاد، نجيب محمود، منشور بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٣٢٤.

(٢) زكريا، فؤاد، المصدر السابق، ص١١٣.

(٣) زكريا، فؤاد، المصدر السابق، ص ١١٠.

أي ان المهم هو الفرد((المميز)) الخلاق المبدع ليس الجماعة، ولذا حصر نيتشه القلة بأحسن الاشياء وطالب الاكثرية بالخضوع والقناعة، فالأكثرية ليس إلا وسائل لإنتاج القلة[١]. وعذاب الكثرة ضروري لانتعاش القلة[٢].

٤. والاعتراض الاخير على الاشتراكية يستمد من فكرة التفاوت الطبيعي بين الأفراد. فالاشتراكية تحث بين الناس نوعاً من المساواة المصطنعة، اذ ان الطبيعة لا تعترف الا بالتفاوت بالمرتبة، وكل محاولة لجعل الناس متساوين هي محاولة مضادة للطبيعة. فيقول عنها(من بين جميع أوباش اليوم، أي نوع اكثر من الجميع؟ انه النوع الاشتراكي. الذي يهلك غريزة العمال، ومزحهم ورضاهم ويجعلون منهم حاسدين يبشرون بالانتقام، والسبب ليس تفاوت الحقوق، بل المطالبة بحقوق متساوية)[٣]ويمكن القول:ان الاعتراض الأخير هذا صب في جوهر الاشتراكية الداعي إلى المساواة وتحقيق الاخاء، في حين يعد نيتشه المساواة ظلم لانها لا تمنح كل حسب امتيازه ورغباته وحاجاته بل تمنحه كونه فردا ضمن مجموع ليس الا. أي دون امتياز.

بهذه الاعتراضات[٤] المواجهة ضد الديمقراطية والاشتراكية أصبح نيتشه من أشد أعداء النزعات الاجماعية الداعية ورأى فيها إرادة عدم، وعدمية سلبية لا

---

(١) الطويل، توفيق، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، منشأة المعارف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٦٠، ص ٦٢.

(٢) توماس، هنري، "اعلام الفلسفة كيف نفهمهم"، ترجمة: متري امين، مراجعة وتقديم: د.زكي نجيب محمود، منشور بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٣٢٤.

(٣) نيتشه، فريدريك، "هكذا تكلم زرادشت"، ترجمة جديدة، ص٣٤٨.

(٤) بهذه الاعتراضات نفسها والانتقادات عارض نيتشه المسيحية،فهو عد الاشتراكية مسيحية منحطة.وان المسيحية انجبت الثورة الفرنسية والثورة الفرنسية انجبت الديمقراطية و هذه الاخير أنجبت الاشتراكية. ولكنها حسب راي نيتشه نماذج لعدمية سلبية وتجليات عن ارادة عدم لا اكثر.(الباحث).

تحمل أي نوع من الفعل بل قائمة على رد الفعل، وتحمل في طياتها كل اشكال القوى الارتكاسية القائمة على الخضوع والضعف.

وان حركة الديمقراطية والاشتراكية، انما هي تعبير عن انتقام العبيد من السادة وسيطرة طبقة العامة على السادة. اما انتصار هذه الحركة فسيؤدي الى إعلاء المضللين المنبوذين، وبالتالي الحط من شأن الانقياء الممتازين.

ثالثاً: موقف نيتشه من(الشعب) الجماهير:

لقد حمل نيتشه على الرجل العادي ذلك الإنسان الاجتماعي الذي ينساق وراء القطيع، اما الرجل الممتاز هو ذلك الرجل الذي ينطوي على نفسه، ويفزع الى الوحدة كالنجم الغارق في السكون، فهو وحده في نظر نيتشه الرجل القوي المبدع[١].

لذا دعا نيتشه على لسان زرادشت بالاسراع الى العزلة بعدها ميدان الابداع(سارع الى عزلتك ياصديقي، فقد اورثك الصداع صخب عظماء الرجال، والمتك وخزات صغارهم، ان جلال الصمت يسود الغاب والصخور امامك، فعد كما كنت شبيسها بالشجرة التي تحب، الشجرة الوافرة الظل المشرفة على البحر مصغية في صمتها الى هديره)[٢].

وقد اعطى نيتشه اهمية كبيرة للوحدة "العزلة"، حيث كان يعتقد(ان كل من له ان يذيع شيئاً جليلاً في يوم من الايام لابد من ان يظل وقتاً طويلاً مطوياً في داخل صمته وكل من قدر ان يشعل البرق يوماً ما لابد وان يظل سحابة لمدة طويلة)[٣]. وبذلك عظم نيتشه من الوحدة والعزلة عادا اياها محنة المصلحين[٤]. لذا على الرجل الممتاز ان يعتزل الجمهور(اذ لاتقوم عظمة الا بعيداً عن ميدان الجماهير، وعن الامجاد الزائفة، فأولئك الذين ابدعوا السنن الجديدة قد انتبذوا

---

[١] ابراهيم، زكريا، "مشكلة الانسان"، ص١٧٢.

[٢] نيتشه، فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة جديدة، ص٧١.

[٣] ابراهيم،زكريا،"مشكلة الحرية"،دارالطباعة الحديثة –مكتبة مصر،القاهرة، ط٢،١٩٦٣،ص٣٠.

[٤] نيتشه، فريدريك، المصدر السابق، ص٣٤٨.

لانفسه دائماً مكاناً قصايا، فعاشوا في عزلة عن العامة، وبعيداً عن امجاد الناس)[١]وعليه ايضاً ان يترك الاصغاء للجمهور وان يصغي فقط لصوت العزلة فهو صوت الحرية، فإنه يعلم في قرارة نفسه ان صوت الجمهور هو نداء للعبودية يستصرخه ان يبقى، وصوت الوحدة نداء الحرية يستصرخه ان ينطلق. فما خلق الرجل الممتاز لكي يسير وراء القطيع، بل هو خلق لكي يكون صورة على القطيع، وهو لن يخضع لحكم الجماهير لانه يعرف انه قانون لنفسه، وليس عليه ان يخضع الا لحكم نفسه وليس عليه ان يخضع الا لحكم نفسه وليس عليه يخضع لقانون السواد الاعظم، بل يتخذ من إرادته الفردية قانوناً له، فيشرع لنفسه الخير والشر. ويصنع لنفسه الحقيقة التي لاحقيقة سواها[٢].

كما ان الجماهير تقف دائما ضد الرجل الممتاز الطامح للعظمة " ان الجماهير كلما استعلوا وستزيد العظمة في الرجل الممتاز ستزيد كراهيتهم له "[٣]. لانهم يرون في عظمته دليلاً على ضعفهم وتهديداً لوجودهم.

فلا سبيل للرجل الممتاز الا في اعتزال المجتمع، والعيش بعيداً عنه منطوياً على نفسه مؤمناً بذاته، وهو على عكس الرجل الضعيف. فهو يشعر بالحاجة الى الاجتماع بالناس والانظمام الى القطيع والايمان بمعايير السواد الاعظم. وعلى حين ينزع الضعفاء ونحو الاتحاد والتجمع فان الاقوياء دائماً ينزعون نحو الانفصال والتفرد[٤].

ويمكن القول ان دعوة نيتشه الى الفردية والذاتية جاءت كرفض للخضوع للمجتمع والسيد وفق قوانين عامة الناس. فجاءت دعوته هذه مناصرة للمذهب الأرستقراطي. لا بل دعوة الى خلق أرستقراطية جديدة اعلى بكثير من الأرستقراطية القديمة، ممهداً بالاشادة(بالفردية) لانها شرط لخلق هذه الأرستقراطية. وهذه

---

[١] المصدر نفسه، ص٧٢.

[٢]ابراهيم، زكريا، "مشكلة الانسان"، ص١٧٢.

[٣] نيتشه، فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة جديدة، ص٧٣.

[٤] ابراهيم، زكريا، "مشكلة الانسان"، ص ١٧٢.

الأرستقراطية الجديدة تمثلت(بالإنسان الاعلى) الذي هو فوق كل تقويم، وفوق كل قانون يعتقده عامة الناس[١].

وخلاصة القول ان الهدف الآخر من نقد نيتشه للحكومات وللنزعات الاجتماعية، ومعاداته للجمهور والمجتمع. هو سعيه لتحرير الرجل الممتاز من كافة اشكال الخضوع وتخليصه سواء من القيود التي تفرضها عليه الحكومة، او من النزعات الاجتماعية التي تنتزع منه حقوقه وامتيازاته باسم المساواة والعدالة. او من خضوعه لاكثرية الناس(الجمهور) القطيع، الضعيف النازع الى التوحد والاجتماع واعطاء هذا الرجل الحرية المطلقة في صياغة قيمه، ويكون هو قانونا لنفسه فلا يحكمه احد سوى قانون نفسه واراداته القوية.

واستناداً لهذا يمكن القول ان الدولة المثلى التي يدعو اليها نيتشه هي(دولة من ضواري الرجال. وهم من السادة، لا يبالون بسكان العالم او بمبدأ او بصوت الضمير) وحاكم هذه الدولة هو(الإنسان الاعلى) الذي ليس بحاجة الى مواقف الشعب اذ لايوجد بينه وبين شعبه أي تفاهم عقدي " فماذا تجدي العقود عند من يستطيع ان يبسط سلطانه، فهو خلق بطبعه سيداً، لايعرف في سلوكه الا العنف والقسوة "[٢].

وهذه الدولة تمجد الحرب والمقاتلين وتتجاهل حقد وحسد الاخرين(انني عالم ما في قلوبكم من حقد وحسد، فأنتم من العظمة بحيث يمكنكم ان تتجاهلوا الحقد والحسد، فلتكن عظمتكم رادعة لكم عن الخجل بما في قلوبكم، واذا امتنع عليكم ان تكونوا اولياء في معرفة الحق فكونوا على الاقل جنوداً يكافحون من اجل هذه المعرفة، وما المكافحون الا طليعة الاولياء)[٣]ويبلغ مدى تمجد هذه للحرب إلى حد انها تجعل قيمة السلم لا لما فيه من سلام وأمن من الحروب بل كوسيلة(احبوا السلام كوسيلة لتجديد الحروب، وخير سلام ما قصرت مدته انني لا اشير عليكم

---

[١] بدوي،عبد الرحمن، نيتشه،(وكالة المطبوعات–الكويت)، الكويت، ط٥، ١٩٧٥، ص٢٦٤.

[٢] توماس،هنري،"اعلام الفلسفة كيف نفهمها"،ترجمة متري امين،ص٢٢٤–٢٢٥.

[٣] نيتشه، فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة جديدة، ص ٦٦.

بالسلام، بل بالنصر. فليكن عملكم كفاحاً وليكن سلمكم نصراً)[١]. وبذلك تكون غاية هذه الدولة هي الحرب لابل هي غاية الغايات، المبررة لكل شيء(تقولون ان الغاية المثلى تبرر الحرب، اما انا فأقول لكم ان الحرب المثلى تبرر كل غاية، فقد أتت الحروب والاقدام بعظائم لم تأت بمثلها محبة الناس)[٢].

وبذلك مجد نيتشه الدولة القائمة على الحرب، الساعية لتحقيق انتصارات لا حصر لها، والطموحة إلى بسط سيطرتها ونفوذها، فهي دولة قائمة على البطولة والشجاعة، وتمجد الحرب والقوة[٣].

---

[١] المصدر نفسه، ص ٦٦.

[٢] المصدر نفسه، ص ٦٦.

[٣] لا يمكن عد الحروب وسيلة لارتقاء الأمم وتطورها بل ان التعاون والتضامن وتبادل الخبرات والثقافات هي الوسيلة والفضلى لرقي الأمم وتطورها. وان الحروب لا تعطي ذلك النفع الذي يرجوه نيتشه فلطالما عانت سابقاً الدول العظمى من ويلات الحرب مما ادى إلى تدهور الانسان لا بل كل الانسانية على هذا الوكب.وان حضارات الامم لم تزدهر الا في ظل السلام والمحبة المتبادلة.(الباحث)

Absract

Netcha and the Political Philosophy

Hijrān A. Al-Sālihy*

Although Netcha was not solicitous with politics , he has own opnions about politics and parties. He argues that the thinker who advocates himself for philosophical and intellectual inspiration has no way to politics and parties. Supposedly he should have to leave the mention issues aside.

The Paper aims at reviewing the philosophical political opinions that put forward by the philosopher Netcha. The study covers his stance towards government,democracy,masses and the social conflicts.

* Assist. Lec. – Dept. of Philosophy-College of Arts /University of Mosul.